حرب الخليج في الواجهة مجدداً

ما هي خيارات الايرانيين في تحقيق هدف اسقاط النظام العراقي ؟

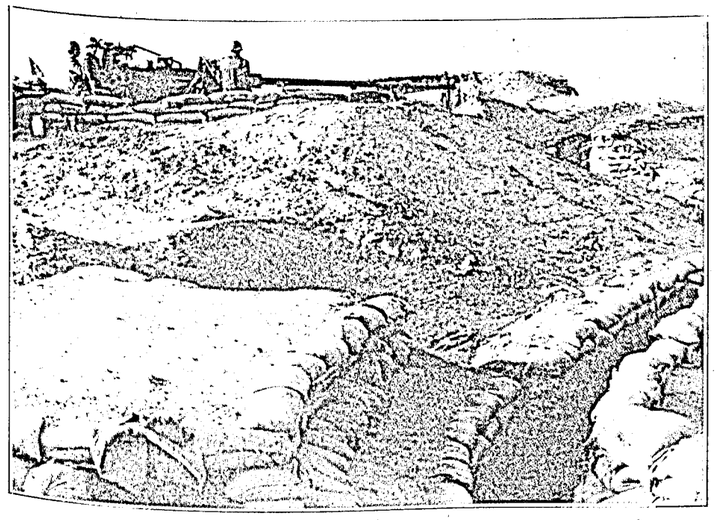

الحرب العراقية – الايرانية

من جديد احتدمت المعارك على الجبهة بين العراق وايران ، بشكل ينبئ عن بدء مرحلة جديدة في حرب الخليج ربما كانت اشد ضراوة وقسوة مما كانت عليه الحال منذ معارك خورامشهر في العام الماضي. فقد اعلنت طهران ان المرحلة الجديدة لن تنتهي الا بسقوط صدام حسين ونظام حكمه ، بينما قالت بغداد انها ستؤدي الى انحسار القوات الايرانية المهاجمة ، التي ما لبثت أن خففت من زخم اندفاعها تمهيدا لهجوم لاحق سيكون شاملا واكثر قوة ويضع نهاية لحرب الخليج كما قال رفسنجاني في الاسبوع الماضي .

رئيس مجلس الشورى الايراني هاشمي

الهجوم الايراني الاخير لم يكن مفاجئاً لا في زمانه ولا في مكانه . فالايرانيون كانوا خلال الاسابيع الاخيرة يكررون الاعلان بانهم سيشنون هجومهم هذا اثناء الاحتفالات بايام الذكرى الرابعة لانتصار الثورة الايرانية (بين الثاني والحادي عشر من شباط – يناير) . وفي الثالث من شباط الجاري اكد كل من آية الله حسين منتظري ، الخليفة المحتمل لآية الله الخميني ، ومحسن دوست وزير الحرس الثوري الايراني في تصريحين منفصلين ان القوات الايرانية اصبحت على استعداد « لشن الهجوم الاخير على العراق » وان فترة الاحتفالات بنجاح الثورة الايرانية « ستجلب لنا نبأ سعيداً هو الانتصار الكبير للامة » .

وكان الرئيس العراقي صدام حسين نفسه قد ابلغ صحيفة « البايس » الاسبانية في مقابلة معه نشرت في ٢٧ كانون الثاني الماضي ان ايران ستشن هجوما « خلال الايام القليلة المقبلة على العراق في منطقة ميسان » . ثم اعاد تأكيد ذلك في مقابلة له مع وكالة الانباء العراقية يوم ٦ شباط الجاري وقبل ساعات قليلة من بدأ الهجوم الايراني الجديد ، لكنه اعتقد ان القادة الايرانيين الغوا نيتهم في الهجوم بسبب الموقف الدفاعي القوي للقوات العراقية .

كارثة مشتركة

وعلى اية حال ، عادت نار الحرب الى الاشتعال على نطاق واسع لتحرق بلا حساب الارض والبشر في فصل آخر من فصول هذه الكارثة الشاملة التي لا مثيل لها في التاريخ الحديث لشعبين كانا على الدوام وحتى اللحظة تشدهما الى بعضهما اواصر التآخي والجيرة الطيبة والمنافع المتبادلة والهموم والاهداف المشتركة ، ولم تفرق بينهما الحرب نفسها لادراك كل منهما على السواء انها حرب غير عادلة ، شنتها حفنة من محترفي القتل والتسلط وانها حرب تسدد فواتيرها في الرياض والخليج والقاهرة وباريس وواشنطن وغيرها من عواصم الرجعية المحلية والامبريالية العالمية ، بينما يذهب ضحية لها ابناء الشعبين الصديقين وثرواتهما المادية والاقتصادية .

بعد اربعة ايام من تجدد المعارك اعلنت ايران انها استردت حوالي ٣٠٠ كيلومتراً مربعاً من اراضيها التي كانت ما تزال تحت سيطرة الجيش العراقي منذ بدء حرب الخليج في ايلول ١٩٨٠ . وفي وقت لاحق افادت البيانات الايرانية بان القوات المسلحة الايرانية استولت ايضا على عدد من محافر الحدود العراقية في منطقة الشيب الت تبعد بضعة كيلومترات الى الشمال الشرقي من مدينة العمارة مركز محافظة ميسان العراقية ، والتي تقع على الطريق الاستراتيجية التي تربط العاصمة العراقية بغداد بميناء البصرة ودول الخليج . اما البلاغات العراقية فقد اعلنت ان الهجمات الايرانية قضي عليها تماما وابيدت كل القوات الايرانية المهاجمة « اكثر من ٨ آلاف قتيل في صفوف الايرانيين حسب البيانات العراقية . والايرانيون قالوا انهم قتلوا حوالي ٨٠٠ عسكري عراقي » . واضافت البلاغات العراقية بان القوات الايرانية لم تستطع ان « تأخذ شبرا واحداً من الاراضي التي تسيطر عليها » .

ان شدة المعارك وتواصلها لايام عديدة والاستعدادات الكبيرة التي اتخذها كل من الطرفين على مدى عدة اشهر .. كل هذا لا يدع المراقبين في الواقع بان اي من القوتين الضخمتين المتصارعتين لم تحقق تقدماً في المعارك الاخيرة . وتشير كل تجارب المعارك المماثلة السابقة ان البلاغات العراقية كانت تنطوي دائما على عدم دقة حول النتائج التي تتحقق في المراحل الاولى لهذه المعارك . ففي آخر هجوم شنته القوات الايرانية على القوات العراقية ، وكان ذلك في تشرين الثاني الماضي على جبهة مندلي ، كانت الاعلانات العراقية تؤكد في البداية انه امكن منع العراقيين من تحقيق اهدافهم في دفع القوات العراقية الى الوراء ، الى ان اعترف القادة العراقيون في النهاية بخسارتهم في هذه المعارك وتوغل الايرانيين الى مسافة ما بين كيلو متر واحد وخمسة كيلومترات داخل مناطق سيطرة الجيش العراقي .

هجوم اخير .. ام معارك اختبار ؟

وبغض النظر عن النتائج التي تحققت في معارك ميسان الاخيرة فان اغلب المراقبين يرون ان الهجوم الايراني الحقيقي لم يبدأ بعد ، وان هجوم الاسبوع الماضي هو ذو طابع اختباري يهدف الى امتحان الدفاعات العراقية ومعرفة التكتيكات الجديدة للقوات العراقية والاسلحة الجديدة التي ادخلتها القوات العراقية الى خطوطها . ويعتقد هؤلاء المراقبون ان الهدف المباشر للجولة الجديدة من المعارك هو تحقيق تقدم ايراني داخل الاراضي العراقية لبضعة كيلومترات ستكون كافية لان تصل قذائف المدفعية الايرانية الى طريق بغداد – البصرة فتقطع الحركة عليه ومن شأن هذا ان يعقد اولا من ايصال الامدادات للقوات العراقية في القاطع الجنوبي « بين العمارة والبصرة » ويزيد من صعوبة نقل الامدادات العسكرية والتموينية من دول الخليج الى العراق .

المهم ان المسؤولين الايرانيين يقولون ان الهدف النهائي للفصل الجديد من الحرب هو اسقاط النظام العراقي ، وبالذات رئيسه صدام حسين ، مشيرين الى انه لا توجد لديهم اية اطماع في الاراضي العراقية ، وانهم يمكن ان يوقفوا الحرب اذا ما ترك صدام حسين وحزبه الحاكم السلطة في العراق باعتبارهما يتحملان وحدهما مسؤولية البدء بالحرب من اجل القضاء على الثورة الايرانية واحتلال جزء من الاراضي الايرانية .

والواقع ان هذا الهدف الذي يسعى اليه الايرانيون من الصعب تحقيقه عسكريا .. بمعنى استمرار القوات الايرانية بالزحف داخل الاراضي العراقية بغية الوصول الى العاصمة بغداد واسقاط النظام العراقي . فلقد اصبح واضحاً الآن ان القوى الرجعية في المنطقة وقوى الامبريالية العالمية تقف بقوة الى جانب النظام العراقي وتزوده باستمرار بالاموال والاسلحة ، بما فيها الاسلحة الحديثة المتطورة ، لمنع الايرانيين من التقدم . ويبدو ان الايرانيين ، او بعضهم على الاقل ، يدركون هذه الحقيقة ، ولهذا فهم يواصلون الآن ما يمكن تسميته بحرب استنزاف طويلة الامد ، تتخللها من حين الى آخر هجمات قوية وواسعة لا تترك للقوات العراقية ان تستعيد انفاسها وتعيد ترتيب اوضاعها الدفاعية بقوة . ويبدو ايضاً ان الايرانيين يراهنون في ذلك على حدوث حركة مسلحة داخل الجيش العراقي المنهك ، او حركة شعبية بين اوساط الجماهير العراقية التي تتسع معارضتها لهذه الحرب التي كلفت العراقيين الكثير على الصعيد البشري والمادي ، وتزداد نقمتها على النظام الذي اشعل هذه الحرب دون مبرر ، ومن شأن هذه الحركة ، العسكرية او الشعبية ، ان تطيح بالنظام العراقي .

والرهان الايراني في هذا الصدد ليس صعب التحقيق في الحقيقة ، اذا ما احسنت ايران اللعب . فلقد توفرت في العراق الآن ، ومنذ التغيير الذي طرأ على منحى الحرب مع بداية سنتها الثانية ، كل الظروف الموضوعية اللازمة لاسقاط نظام الحكم العراقي ، بينما ظلت الظروف الذاتية دون هذا المستوى بسبب زج كل قوات الجيش العراقي وكل العراقيين القادرين على حوض معركة محلية ضد النظام ، في جبهات القتال ، وبسبب القمع الشديد التي تتعرض لها جماهير الشعب العراقي وقواها الوطنية من جانب مؤسسات النظام الارهابية واجهزته الامنية . لكن هذا لم يمنع القوى الاساسية في المعارضة الوطنية العراقية من بدء عمل كفاحي ، عسكري وسياسي ، في اجزاء من العراق وبخاصة منطقة كردستان ، وهو عمل يمكن ان يتطور الى عمل حاسم يؤدي الى احداث تغيير جذري في بنية النظام العراقي : اسقاط النظام الدكتاتوري الرجعي الحالي واقامة نظام حكم وطني ديمقراطي تقوده حكومة ائتلافية كما اجمعت على ذلك القوى الوطنية العراقية .

وتستطيع ايران من جانبها ، وبسبب من مجاورتها للعراق عمل الكثير في هذا الشأن عن طريق مساعدة قوى المعارضة العراقية ، دون تمييز ودون اشتراطات مسبقة . فمستقبل العراق وطبيعة النظام الذي سيحكمه ، هو حق مطلق للشعب العراقي وقواه الوطنية ، وليس بوسع احد ، ايا كان ، ان يفرض على بلد ما وشعب ما طريق الحياة الذي سيتبعه .

وفي الحقيقة فان مساعدة ايرانية من هذا النوع للشعب العراقي لن تحقق هدف ايران في اسقاط نظام صدام حسين فقط ، وانما هي ايضا تقطع الطريق على القوى الرجعية والامبريالية التي تتحفز الآن للتدخل في شؤون العراق الداخلية ، واضافة تعقيدات جديدة للوضع السائد سلطة الى العراق تكون صديقة لايران ومعادية للرجعية والامبريالية ، وحينئذ سيحل الشعبان الصديقان العراقي والايراني المشاكل والنزاعات التي تسببت فيها انظمة الحكم الرجعية والدكتاتورية التي فرضت نفسها عليهما فرضاً .. سيحلانها في جو من المودة والتآخي على اساس العلاقات التاريخية الحميمة التي تربطهما ، وعلى اساس مصالحهما المشتركة ، وعدائهما للامبرياليين والصهاينة والرجعيين .

ع - ح

الهدف وراء حملة التهويل والابتزاز

يستطيع المتتبع للمواقف السياسية الصادرة عن العواصم العربية السائرة في ركاب الولايات المتحدة الامريكية ان يلاحظ التناغم والانسجام ، الذي تتصف به مواقف هذه العواصم .

فعلى امتداد الفترة الماضية ، من التحرك السياسي للرجعية العربية ، جاءت القواسم المشتركة لمجمل هذه السياسات لتؤكد وبصورة لا تقبل الشك أنها لم تقتصر على طلب الضمانات من « الشريك الكامل » كما بيّنا في العدد السابق ، وانما تعدت ذلك لتطال جوهر التحرك العربي الذي ضُبطت خطواته على ايقاع السياسة الامريكية في المنطقة .

وليس من الصعوبة بمكان . على من يحاول استقراء هذه المواقف أن يلاحظ نغمة التهويل والابتزاز بادية على السطح ، وتشكل قاسماً مشتركا جديدا لمواقف وسياسات الانظمة العربية الرجعية ، حيث يجري في اطار هذه الحملة استخدام بعض الحقائق ، وتضخيمها ، بُغية الوصول الى الاهداف المشبوهة لهذا التحرك الرجعي المدعّم من الولايات المتحدة .

وعلى سبيل المثال ، ما تقوم به ابواق الدعاية والاعلام الرجعية اثناء تناولها موضوعة الاستيطان الصهيوني المتزايد على الارض العربية المحتلة ، فهي تصوره كخطر ماحق لا سبيل لمواجهته ، ووضع حد لضياع الارض الا بتقديم التنازلات السخية للادارة الامريكية ، حتى تمارس من جانبها دور الكابح لهذا الهجوم الاستيطاني ، بعد أن تكون قد أخذت من عرب التنازلات كل ما يُرضي قادة العدو الصهيوني .

وطبيعي ، اننا لا نقلل من خطر الاستيطان ، فنحن ادرى الناس بهذا الخطر ، واكثرهم تضررا منه ، واشدهم عنادا في النضال من أجل ايقافه ، وبالتالي اقتلاع ما تم تحقيقه على هذا الصعيد . ومع ذلك فنحن نرى أن التركيز على هذا الموضوع بالذات ، من قبل الدوائر الرجعية العربية ، وبما هي عليه الصورتخ من تهويل وتضخيم ، إنما يستهدف تهيئة المناخات لخطوات استسلامية مقبلة . من جهة اخرى ، وكمثال ثانٍ على هذه المواقف الرجعية المتناغمة مع السياسة الامبريالية ، ذلك الحديث الدائر عن الفرص السانحة ، والمتاحة للسلام ، وما يصاحب هذا الحديث ، من تحذيرات يطلقها عرب الدولار حول ضرورة الاسراع باستغلال الفرصة الراهنة للسلام ، والا فإن المنطقة مقبلة على زلزال لن يكون بمقدورها مواجهته .

وهم يحددون هذه الفرصة مدى زمني لا يتجاوز بضعة اسابيع .

وطبيعي أيضاً أن يأتي هذا الحديث في دائرة التهويل والابتزاز ، وسياسة وضع المنطقة امام الخيارات الصعبة ، ليصار الى اللجوء نحو الخيار السهل والذي هو خيار الاستسلام ، خصوصاً بعد أن اسقط عرب فاس الخيار العسكري من حساباتهم الراهنة والمقبلة مع العدو الصهيوني . وينضم الاردن بدوره ، وهو الاكثر حماساً لاستغلال الفرصة ، الى الجوقة المشبوهة ، مروجاً في هذه المرة ، للمخاطر الامنية التي تتهدد مملكته في حال استنكافه عن اغتنام فرصة « مشروع ريغان » وهو في سعيه هذا يستند الى التحذيرات التي سبق لوزير الدفاع « الاسرائيلي » ، أن اطلقها ضد الاردن ، وقال فيها (إن الاردن هو وطن الفلسطينيين) .

وكما هو واضح ، فإن الهدف من تضخيم هذه المخاطر التي تتهدد الاردن ، والترويج الدائم لها هو اقناع الرأي العام الاردني والفلسطيني والعربي بضرورة ان يسارع الملك حسين للحاق بركب المفاوضات حتى لو تم ذلك على حساب منظمة التحرير الفلسطينية ؛ فالقضية لم تعد تتعلق بمستقبل الضفة الشرقية كذلك ، حسب زعمهم . ولعل في التصريحات والتهديدات التي اطلقها النظام الاردني مؤخرا ما يكشف عن جوهر الاهداف الحقيقية للحملة التهويلية الابتزازية التي يشنها عرب السياسة الامريكية هذه الايام . وهي كما يتضح الهدف منها تمهيد الطريق امام الاردن للحاق بقطار المفاوضات .

ع . ر